محمد منصور الرقاق

الحديث الأول لمسعود بعد اليوم

واحد منبطح في فسحة التراب. واحد يكلم بنتا يبدو أنها تلتقي معه في واحد ميت. القرابة القريبة تقف في وجه الحدة التي كان يمشي بها الحديث. هذا ما توصلت إليه من خلال ضرب شيء بشيء، الشبه يكون عادة واقفا لأول واصل. المهم أن الذي كان يكلم البنت كان يبني تواصله الخاص معها اللحظة. واحد يحاصر الاندفاعة التي تجيء بفعل انصباب الناس من كل الدروب المفتوحة على وسعة الخطابة. ليس في الأفق غبش. في الناحية عمائر أشبه بالناطحة الأمريكية. لكنها لم تكن تستطيع أن توقف وصل هؤلاء المنشورين في الوسعة للأفق والبحر والشيء الممتد المنبجس من البعد الطالع في عيونهم. في الناحية أيضا عسكر بالتكشيرة التي إن حطت على طفل في يومه الأول مات. تكشيرة تفعلها العين واليد والرجل. أن يكشر فيك العسكر يوما اعرف أنك بعدها تبدأ في التواصل مع هذا البعيد في عيون العمال. أن يكشر فيك العسكر تلك نقطة الضوء الموصلة الى أن تدخل في الحصار ويكون الفعل المفتوح على المقصلة.

حالة يومية ثبوتية لمسعود

ينبت مسعود كل صباح في وسعة مفتوحة على المحلات. لم يمش يوما إلى مبنى جامعة يوما. في اليوم الذي فتح فيه عينيه على التعاشيب التي تملأ العربي بدأ يتابع حركية الأمريكان في قرى عربية بعينها. هو الآن يقول بأن كل ماهو مؤجل وغير مكتوب ومسَجَّن في الذاكرة هو نقطة التحول الجميل الذي سيمشي بنا فسحة بعد فسحة الى الرَّحبِ المفتوح. يغادر الوسعة الى غرفة لهُ فيها هذا عامٌ عاشر. هو قرأ كل ما يتستر خلف عيون ناسِ هذا الموقع. من البعد حين يرى بناتِ هذا الموقع يبصقُ جهتي. التعامل الحار والفجائي مع كل الأشياء هو الذي تركه وحيدا في غرفةٍ يتحولُ في الانتكاسِ نهارا تلو نهار. كل ما يشكل طبيخة تأسيسية لكل توجهات الناس هنا هي داخلة في جوفه واحدة واحدة. ليس لمسعود ثبوتية في مطاردة تعبه. في مطاردة الضيق الذي يغتاله. لم يعرف يوما ألفة مع أي شيء. السرير الذي ينشر فوقه هذا الجسد لم يتآلف معه، فقط مسوغ المقاومة لأفعال الزمن هو الذي يجعل مسعود يشعر جهته بقرابة حبيب صامت. أن يدخل مسعود ويكون الوقت صيفاً وينشر فوق سرير الحلفاء. ليس هذا مجرد فعل عادي، مسعود يفلسف حتى لون باب بيت الماء لأنه لو كان بلون غير الذي هو الآن لما وجد نسق الحديث عن أشيائه. كل شيء مثبت وفق إملاءاته هو لا إملاءات حال وجودها هكذا.

تلقيط صغير من بحر البكاء

حائط باب لعلو الأحمر متسع حبيب يضاف الى ما في الحال من انكسار وحميمية وتوحد. أشهد أن المتواصل من الخارج. يعني الذي ليست له ورقة انخراط في تشكيل ما يكون هو المنخرط المتوحد الذي يبكي الانهيار العام. متسع السور هو في المتسع الذي يسكن في هذا الذي من عام لعام يقول كلاما في عيني ناس خبط في باب مبنى منفي لم تمش إليه رجل أو تملأ به عين. متسع في متسع هذا الحال الرحب المفتوح رغم هذا العسكر المرسل الى هنا لإحصاء المتسع. واحد متوحد بالناقلة الرابطة مع أمين المبنى الرئيسي. ذباب من العاديين فوق الاسفلت وفوق الطوار. في أوراق رسمية مكتوب أن هذا اليوم هو الذي يبوح فيه الشقي ويعلن بوضوح عن الجرح. ذهلت جدًا لأن هذا مكتوب في أوراق رسمية. من المستبعد في أي حالة أن يضربك أحد ويمنعك حتى عن بكاء صغير. أعتقد أن النسغ الذي سوف يكون البحث عنه في هذه المسألة هو لماذا الضرب أصلا. ومن المستبعد أيضا أن تحسن البكاء محاصرا. اضربني واطلقني في خلاء مقطوع أدخل في فسحة البكاء حتى القاع وأطلع فيه حتى النجمة. الشقي الذي جاء ليبكي يعرف جيدا حدوده. يريد أن يشق هذه الحوائط، وهذا الاسفلت. هذه داخلة في حدود البكاء أم خارجة منه ؟. هو يريد أن ينشر جسده تحت الحرق نصف نهار ويقاوم الماء. هو يريد أن يعدو نحو البحر. لا، ليفعل أي شيء. لانه ليس له ما يمكن أن يفعله في البحر. أي شيء يفعله هو في حدود هذا البكاء. في قرى عربية لن تجد الواحد الذي يصل فيك وتصل فيه ما هو إلا في المقصلة. هناك المقصلة سوف لا يكون واحدا فقط أو عشرة. وأنت لا يمكن أبدا أن تستريح وإلا فمت أو احترق بالتدريج كما يفعل الواحد الذي ليس له أي تواصل مع هيئة أو توحد بشيء ما يمكن من خلاله أن يضيء شيئا ما. في أوراق رسمية وفي الاذاعة، وفي كلام الوزراء الذي يعاد كل مساء في التلفزيون، أنا بقفطان السلطان.

لقطة أولـــى

الحال تمدد كوني كبحر أو غابة. كان مسعود في الغرفة داخلا في سياحة اليوم الجديدة. تكتب صحيفة عربية منفية في أعلى ايران تقف عظمة عصية في حنجرة الأمريكان. صحف محلية. صحف مضادة. صحف حيادية. صحف حليفة. كلها كتبت من موقع مغين ولم تخرج عما كان متخيلا فعلا من ناس أنها ستكتب وفقه. مسعود الآن لا يسمع الى الذي يتكلم إذا كان من موقع ما. هو يعرف أن الذي يقوله لن يكون إلا على هذه الشاكلة. هو يعرف أنه يدين هذا لأنه ضمن موقع ما. وهو يعرف أنه يتوحد جدا في آخر لأنه مثلا كان ينتف لوجهة ما. مسعود الآن يحمل تعبه به يشاكس يتكلم يبكي. مسعود الآن بتعبه يفعل. مسعود الآن بتعبه يحاول أن يكلم العشب والضوء وحتى المقصلة.

تعـايـش

ليس لمسعود تواصل مع بنت العمارة. يشاع في المواقع القريبة أنها تسمع عن مسعود كل التفاصيل التي تسور يومه وليله. يشاع فقط ــ لأن الموقع الذي توجد فيه غرفته ليس

مفتوحا على العمارة غرفته مفتوحة على شجيرات متباعدة وسور حديقة وفسحة مبسفلته معمولة لسيارات ناس المباني القريبة فقط. من خلال توحدي بحال اليوم لم تعد البنت مسجونة في قلعة ومسحوبة عن هسيس الناس. البنت الآن دائما كشيء حان قطفه. كشيء حان أن يوصل ويباشر وتنبذ القطيعة معه. التي كانت معتادة فيما مضى. من خلال وجودي اليومي في هذا الموقع وتوحدي بعذابية مسعود كنت أنا الأول الذي سأتعب من أجل أن أربط مسعود ببنت العمارة. ليست المسألة أن أوقف بنت العمارة في ممر عام وأحكي لها عن مسعود وأدخل في العظمة هكذا بتعسف مفضوح. كان يمكن أن أفعل هذا في البدء. قبل أن يكون احتمال الكلام المشاع ثابتا. الآن ليس لي الا أن أتوقع وأبدأ في التعاشيب. الآن ليس لي الا أن اتضح وابرأ في الدخان. يسد باب غرفة مسعود الأمامي من الداخل وأكون أنا حاملا أشيائي صادما الطوار وسائرا الى البيت. كل واحد من موقعه الخاص يحاول أن يتوحد بالآخر فيما يبتعد عن منطقة التوحد. هي مغتربة وتمارس أفعالا تكرس هذا الاغتراب. تطلع وحيدة تمشي وحيدة تبني من القش بيتا وحيدة. أن تكون وحدك يعني أنك لا تكرس إلا البكاء ومباني قش. مسعود كرس اغترابه من يومه الأول. مسعود الآن في الوسعة يحاور كل الناس. — لو كان مسعود فيما مضى بتمام العمق الذي يفعل فيه الآن لكان رجلا آخر وتشكيلة مغايرة لحياته الحالية —. هو بهذا يبدد كل ظلمة معمولة لايقاف توحده. أن تبدد هذا يعني أنك تبدأ في الضوء. ما بين فسحة محل مسورة بالعشب وبين المبنى مباني بطوابق واحدة. كل حمولتها كتاب منشور في كل الأكشاك كمتسولين أمام جامع يوم جمعه في مدينة مملكة. الكتاب ليس في طبعته الأولى. ومن خلال كتاب محمول لا يمكن أن تسجل هكذا بابتسار أنها تتظاهر فقط. فيما يكون مسعود على الحال الاعتيادي تماما غارق في صحيفة يوميه أو في تسييبه الاعتيادي في فسحة العشب. أو يتابع تموج الدخان من السيجارة أو الدخان المنفوث من فمه، أو فيما يشبه سياحة متعب في الجرح الذي تكبر فتحته بعد كل خيبة صغيرة. مسعود أيضا لم يطمس جنوبيته وتواصلها مع بعض ناسها. مثلا هو يقول بأن سي الحافظي كان الرجل الذي يُحمل فوق الاشفار وأقول إني شححت فيما كان يستأهل أن أدخله في لحمة القلب.

٥

مسعود يحكي عن سي الحافظي

لم يكن سي الحافظي فتى طالعا كولد هنيه الذي مات محجوب وتركه في عامه الأول. بعد كل عام كان يذهب في العري وافتقاد الأشياء الصغيرة. هنية مهزوزة قليلا حتى في حالها اليومي الثابت. مرة عضت النالية في لحمة خدها لأنها سقت ماء لحمارها من نطفيتها التي تقع في الممر العام لبلدتي الجنوبية. في ذاكرة البلد العامة أن محجوب كان يحمل الذاهب إليه فوق أشفار عينيه. كان عنده أن الرجل الذي يجيء إليه هو الذي لا ينقر بابا في أول مجيئه قبل بابه. أي واحد هو في ذاكرة البلد العامة محسوب، حتى أخبأ الأشياء هي مفتوحة ومعلنة لهذه الذاكرة. قل الاسم في البلد وتمطر بالمواصفة التي لن تهتز مهما نبش تحول فجائي أظفاره بمزيد من تعب هذا المسمى أو بمزيد من لحميته وانتفاخه. المواصفة لا ينطق بها واحد في حالة ما. المواصفة منطوقة من كل الأفواه وفي حالات متباعدة. المواصفة لاتثبت هكذا بين ليلة وثانية. كل الجنوبيين المتعبين يحملون مواصفة حبيبة. مثلا مواصفة منصور الفحل الرياح الذي

كان لا يستقطر منه إلاما هو حبيب. هذه شهادة ذاكرة البلد العامة. كل الخلافات اليومية التي تحدث يكون منصور هو الذاهب فيها الى المختلفين بقرب الأول وبقرب الثاني حتى تذوب الحمولة النفسيه ويسافر عنف اللحظة وغضبها. في السوق يكون كل واحد متوحدا مع ما سوف يذهب به يكون منصور الحبيب مفتوحا لكل ناشف متعب. الكتابة عن منصور تستأهل توقف زمن بعيد للاقتراب من الحالة التي كان يفعل فيها هذا الضوء. سي الحافظي داخل في اليوم الذي ينتقل فيه من حالة الى حالة غير مربوطتين بفعل يستطيع أن يقربك من مشروعه اليومي. هو جاء الى البلد ونبت في صباحات بين ناسها كأي شيء في بداية ألفته مع الأشياء. لم يجيء الى البلد سارحا. لم يجيء الى البلد دراسا. حتى وقت العام الذي نبت فيه في البلد لم يعرفه أحد. ليست بلدتي الجنوبية هي الأولى التي ينبت فيها ويهندس مع أول وعاشر ما سوف يفعل في شتاء العام أو صيف العام. كانت بلدة « أولاد قمية » في الناحية في عينيه هي المرمدة التي لا ينشر فيها أثوابه. هو لم يهزأ بهذا الكلام. « أولاد قمية » في ذاكرة البلد تَسَيُّبٌ من المباني والناس الذين لم يتوحدوا يوما مع آخرين. أولاد قمية كلهم في لوفيس عمال الرفش والبالة. خارج « لوفيس » هم ناس التوحد مع الذات والأشياء الصغيرة التي لا تخرج عن تبديل دفينة سوق الأحد الماضي للضاوية لأنها ولدت تحب اللون الأخضر بدل لون الدفينة القمحي. ناس « أولاد قمية » من البدء تطاردهم هذه المواصفة وهو أنهم ناس غير اجتماعيين. كل موقع في الناحية مضروب حتى الجذر بعيبٍ يوميٍّ عام. لكن « أولاد قمية » هي وحدها التي تنفرد بحركية لا تخرج عن فسحة فتحة إبرة. التواصل الحميمي بين « لمزوقة » وبلدتي الجنوبية دفع سي الحافظي الى وصل ناسها. سي الحافظي جزء من ذاكرة البلاد العامة. سي الحافظي حين جاء الى البلد لم يفكر في إقامة أي علاقة مع أي كان. من خلال الذاكرة العامة كان يذهب في التواصل. هو جاء سارحا تعبه في قرى الناحية. محمد بن المحجوب الذي لم تسجل الجنوبية عنه يوما حالة انتكاسة كان عند سي الحافظي بمثابة السند الحبيب الذي يقدر على إطعامه وقتا مقطوعا وطرد وجوه غولية عنه في وقت ليلي. قل لسي الحافظي إن محمد بن المحجوب في ناحية ما لا يفكر إن كان ثمة أي شيء يمنعه عن الوصول اليه. سي الحافظي ومحمد بن المحجوب بمثابة العشب والماء كل واحد يتستر في الثاني ويدخل فيه. في البدء لم أكن أعلم أن سي الحافظي بمثل هذا التصور الواضح كان يتجذر في البلد ويتجذر في الناس — كان يعلو جدا في تجذره ولا يدخل في القاع.

لقطة حيادية ثانية عن بنت العمارة

نبتت في انعطافة مبنى الشرطة العام كساق عشبية متجذرة جدا. مشت الى محل جانبي ودخلت. كل صباح تقرأ صحف المملكة اليومية. اعلانات. إذاعة عن ميت كان في الوزارة الأولى، نسف مطر لقنطرة فوق نهر. سفر مغنية إذاعة الى الخليج. تخرج من المحل الجانبي. تمشي فوق الطوار حتى انعطافة المبنى. تشعل سيجارة تبخُّ بدخانها عيون السابلة والهواء. سيارات الأجرة مبطوحة في تحويشة مسفلته. في باب العمارة التي تسكن غرفة في طابقها الثالث وقف مهبول شائبا. وقف المهبول الشائب في عافية ابن الثلاثين. مشى إليها. فتح لها عن قاع قرابه الدومي. التراب في وجهه دوائر بلا حدود. أتربة عالقة في مقدمة أنفه. أتربة متلاصقة. أتربة متوعدة أسفل العين اليسرى. أتربة تتطاير من أعلى سطيحة وجه المهبول.

قطع عنبربني. جاوي مكي. أعواد مسك. في المدخل نشفت. من الدرجة الأولى من سلم العمارة رجعت الى فجوة المدخل. فيما كان المهبول يُخبِّه مبنى الشرطة العام. من طابقها في العمارة تتبع بعينيها كل الانيقين حتى دورات متباعدة. تنشر فوق عود الشرفة صحيفة الصباح المكتوبة باللغة الأجنبية. السابلة ينطون الى المحلات كديكة نزل عليها مطر في وسعة. باشيائهم.نصف المبلولة ينطون الى السقوف المتلاصقة أمام المحلات حتى باب الحديقة. بنت خامسة في أرضية مسفلتة تشد بقلبها. تتسيب فوق الأسفلت. تقف وتتسيب ثانية. بقال المحل الجانبي كان يرش أرضية المدخل. بنت خامسة تقف تتسيب. بنت العمارة الفوق في الشرفة تتابع تسيب بنت الخامسة بحياد. تترك بنت العمارة الصحيفة وتمشي الى غرفة داخلية. غرفة داخلية معمولة للأفعال الليلية. غرفة بلا نافذة واحدة. بباب ملون وحواف ملونة وأرضية ملونة. أرضية الباحة بنية. في الغرفة سرير تسيجه أعمدة ملونة. تتسيب بنت العمارة فوق السرير تنظر الى الزجاجة الكهربائية المفلطحة المضروبة في السقف. ولأن الغرفة مسحوبة عن هواء الخارج وشمسه فهي مضاءة نهاراً وليلا. الزجاجة مضاءة جدا. كل زجاجات الغرف مطفأة. كان صباح نهار. الصحيفة منشورة في الشرفة. بنت الخامسة متسيبة فوق الاسفلت. بقال المحل انتهى من رش الأرضية وهو الآن يرص العلب. نازلا من السلم يرص علب السطيحات التحتية. بنت العمارة تفكر في الأشياء الليلية. نزلت الى مدخل العمارة. ناس شرطة فوق الاسفلت يتكلمون الفرنساوي جدا. أطفال فوق أرض مسفلتة ملاصقة للطوار يلعبون كرة. كل الأشياء مسفلتة فوقنا تحتنا بنا معنا لنا نمشي نطير نجن نحرق نموت نسلخ نحرق إسفلت. استدارت الى سلم العمارة. تشبثت بالدرجة الأولى. استدارت الى الخارج. المحل مبطوح كمتسولة. مشت فوق أرضية مسفلتة. مدت رجلها بشدة الى كرة الأطفال السائبة. الهواء نازل نازل حتى التواءات جسدها الداخلية والتي تحرسها الأثواب. تمشي. ناس الشرطة يضحكون كولاة الزمن العربي الأول. وهي تمشي فيما يقف المهبول في الانعطافة فاتحا عن أشياء قرابه الدومي للسابلة.

لقطة ثالثـــة

في متخيل بنت العمارة كل شيء يومي جارح معاد. لا تباعد بينها وبين هذا الجارح الا بالتسيب في الشمس تحت سقيفة شرفة صغيرة في شقتها. أو بفعل أي شيء كالتعري واستحلاب اللذة بأسلوبها الخاص والحميمي. مسعود ليس كبنت العمارة يمكن أن يباعد بينه وبين التعب. مسعود مطارد بتعبه دائما. وقف مسعود تحت شجرة في وسعة العشب. كانت بنت العمارة مستلقية في أرضية الشرفة الصغيرة، بنت العمارة تحمل قلبا هشا رقيقا يبكي لشيء تفوته كل العيون دون أن يترك فيها أي حرق. هي وحدها الآن التي تسترد تفاصيل البنت التي كانت تشد قلبها وتسقط أمام المحل. الآن تخرج تدخل تنام تسافر تجن تجوع تحلم بهذا الجرح. ربما كانت غربتها وتوحدها مع نفسها هي التي خلفت عندها هذا القلب الهش. هذا واحد من أشد الاحتمالات الموجودة ثبوتا في بكائها وحزنها الذى يأتي دائما مُبَاغتاً. عادة يلصق بنا شيء ما وقع وهو جارح جارح. في البعد لم يكن يجد امكانية أي تواصل معها. مسعود جنوبي. ليس له أي مجد يمكن أن يستند اليه حتى في تبرير التخيل لوصل بنت

تسكن شقة في عمارة وموظفة. الأساس في هذه الأشياء هو أنه لا ينتمي عرقيا الى أي أسرة شمالية. مبدأ التعامل مع بنات الشمال هو أن تكون من ما وراء النهر. يزيد مسعود من طوله بأن ينط خفيفا على رؤوس أصابعه وينظر الى بنت العمارة. لم يكن هذا النط كافيا. عاد الى وقفته الأولى تحت الشجرة التي في وسعة العشب. في مدخل المحل المقابل عربة يد محملة بأشياء تموين هذا الشهر. البربري الصغير يدخل الى المحل ويخرج بشيء يكون واحداً آخر قد قاله له من الورقة المكتوبة. لم يكن يعلم أن هذه العربة المحملة ستمشي الى شقه بنت العمارة. مسعود يبكي جنوبيته وفقره وتعبه. يغادر شجرة الفسحة ويدخل بين الناس في شارع عام.

الرباط، ماي 1980

(مـواقـف)

للحريـة ، والابـداع ، والتغييـر

المدير المسؤول : **علي أسبر**

المراسلات : «مواقف» ـ ص. ب. 8355 ـ 11 ـ بيروت ـ لبنان

الآداب

المدير المسؤول : د. سهيل ادريس .

صدرت منذ 1952 ، ومع ذلك فهي ما تزال حاضرة بيننا باختياراتها القومية ، وتوجهها الوحدوي .

ـ تقارير ومؤلفات تغطي الحركة الثقافية في العالم العربي.

ـ دراسات ـ نصوص قصصية وشعرية ـ

تباع في كل الاقطار العربية .